

## فوضى الأدب في مصر

للككتور محمد صبرى

تكلمت في مقال سابق عن التبعة التي تقع على عاتق مجلاتنا الأدبية الكبرى ، من جراء تيسير نشر مقالات « ككتّاب » معروفين بالفهم السقيم والعبارة . وقد خشى قوم أن نرى إلى الحد من حرية النقد ، والواقع أنه لا نقد في مصر قد تقرأ في الصحف من آونة لأخرى مقالاً قيماً مفهوماً بالرزانة والاعتدال ، وسطاً بين الإفراط والتفريط ، ولكن الشاذ لا يمكن اتخاذه قاعدة في الحكم على الأشياء . وقل أن تجد كاتباً في نقده الكتب يدرمها ويحلها كما يفعل كتاب الغرب . وأكثر ما نرى الإفراط في المدح تارة ، وفي الذم طوراً . ومن الغريب أن كتابة أولئك النقاد لا يمكن « مناقشتها » لأنها لا تستند إلى منطق من الذوق أو الفهم ، وإعنا تستند إلى شهوة تدفع صاحبها إلى الكتابة إرضاء لغاية شخصية أو إرواء لقله حسد أو حقد تآكل صدره

وخير لأولئك النفر أن يرمحوا أنفسهم قليلاً بأنهم ان يبلغوا الجبال طولاً ، وان يخرقوا السماء أو الأرض بقلمهم ، وان يقف الفلك الدرّار من جراء ما يكتبون

وفي مصر « ككتّاب » كثيرون يتوهمون أنهم في مقدورهم أن يأخذوا الشهرة غالباً ، وأن يسخررو التاريخ لتسجيل ماتكتبه عنهم الصحف ، أو ما يكتبونه هم عن أنفسهم في الصحف ، وما ينتحلونه من صفات ، كأن يدعوا أنهم من « كبار » الكتّاب . وإنى لأذكّر بهذه المناسبة أن ممثلاً أعين عن نفسه صرة أنه « الممثل العالى » وأعلن عن شوقى في الوقت نفسه أنه « شاعر النيل » . ولما كان العالم يسع النيل والسين والطونة والرين ومئات الأنهار والبلاد أخذت شخصية شاعرنا تتضاد شيئاً فشيئاً ، بينما وقف الممثل كاللارد الضخم يبطأ بإحدى رجليه المشرق وبالأخرى المغرب ...

وقد وقع كثيرون من رجال السياسة في عين الخطأ الذي وقع فيه بعض رجال الأدب ، فأصبحوا يمتقدون أن الدعاية هي

كل شيء ، وأنها « تصنع » التاريخ كأنما كان التاريخ هيداً « بلقنه » وأمره بكتابة ما يزيد فيطبع ... ناسين أن التاريخ هو أمس واليوم وغداً ، وأن الملك يدور ، وأنه في دورته يغربل الحوادث والرجال ، ويضع الأمور في نصابها ، وأن حياة الأمم مكونة من أجيال فإذا ظلم جيل أنصف جيل ، وأن الناس متباينون في طبائهم ومذاهبهم ، وأن هذا التباين نعمة لا نقمة لأنه يكفل نظام البقاء وينعج الاستبدال بالحياة والشهرة واحتكارهما واغتصاب العظمة وما إليها

ولا شك أن الذوق الأدبى قد ارتفع مستواه في مصر ، ولكن مصر يُعوزها ذلك الجمهور المستنير الذى يزىن بلاد الغرب ، وبعبارة أدق وأبين أن أكبر نقص يعتور حياتنا الاجتماعية هو عدم وجود نخبة رافية من رجال العلم والأدب والسياسة وهو ما يسمى elite ، وهذا فيما يتعلق بالقمة ، أما فيما يتعلق بالقاعدة فيلاحظ عدم وجود طبقة متوسطة . وكل حياة سياسية أو أدبية لا تستند إلى هذه النخبة وإلى تلك الطبقة ، فهي حياة مخملة التوازن

فعدم وجود النخبة الكثيرة العدد مثلاً يفسح للمجال أولاً للتحاسد والنزاع بين الأفراد بعضهم وبعض في دائرتهم الضيقة المحدودة ، ويفسح للأدعياء طريق التسال في قطرم وقلب المقاييس والأوضاع

وكلنا نذكر أن زعيماً كبيراً مرض ذات يوم ، وكان مرضه مرض موت ، فهرع إليه من الأطباء الحابل والحابل والصغير والكبير ... وكانت دقة الحالة تستدعى بالطبع أن لا يذهب إليه إلا الراسخ في صناعته المقدم على أهلها ، وأن يتنحى الصغير للكبير عن مكانه دون النظر إلى رتبة يحملها أو لون سياسى يتباهى به . وسبب هذه الفوضى هو كما قلنا عدم وجود نخبة رافية من الأطباء تؤلف كتلة مترنة في نظامها

وهذه الفوضى نشاهدها في الأدب كما نشاهدها في الطب ونشاهدها في جميع أنواع الحياة العامة في مصر . والمعجب أن الأدعياء يجردون صحفاً ومجلات تنشر لهم . والأدعياء في مصر فريقان : فريق المتأدبين الأغبياء الذين يحاولون الوصول بكل الوسائل ظناً منهم أن مجرد الحصول على « شهادة » أو مجرد